

أربعون الدموع والرقعة والخشوع

إعداد وتعليق
د. حمزة بن فايع الفتحي

جزء (١٦)

١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م

المُبتدأ

الحمد لله ، رقت القلوب بذكره، وخشعت الأبصار لوحيه،
وانسكبت الدموع لمحبتة، أحيانا بالقرآن، وشرح صدورنا
بكلم الرسول الريان، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
أجمعين...

أما بعد :

فكلما غاص المرء في الحياة، وقلّ دينه، قسا قلبه، وجفت
أخلاقه، وعز تأثره بنصوص الوحي، واحتاج مع مرور
الأيام إلى مواظ قرآنية ، ومناثر نبوية، تصب عليه
دموعه، وتحرك مآقيه، وتهز مشاعره، وتعيده إلى رحاب
الأرض الطيبة الندية، وليس في الحياة أجلّ وأعظم من
العودة إلى الوحي، وإحياء القلوب بوعظه، والنفوس بدرسه
، كما قال صلى الله عليه وسلم: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ : قَالَ
النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (مَا مِنْ الْأَنْبِيَاءِ نَبِيٍّ إِلَّا أُعْطِيَ
مَا مِثْلُهُ أَمِنْ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحِيًّا أَوْحَاهُ
اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ). وفي
القرآن سمّاه (روحا من أمرنا) سورة الشورى .

وهو وإن كان ظاهره القرآن، إلا أنه يحوي السنة فهي وحي
كالقرآن، شابهته في بعض السمات ، فالحمد لله على نعمه
وأفضاله .

لذلك آثرنا هنا جمع مواقف الدموع والرقعة النبوية، التي
جرت منه عليه الصلاة والسلام، أو من صحابته، وباركها

وأثنى عليها، لندرك عظم التأثر، وبشرية المختار، وقوة
وقع الحوادث عليه، ولتتعلم قلوب قست وضمائر هلكت،
ومسالك أعرضت ، ولتعي عوام ما فهمت السنن، وأعلام ما
خشعت علومهم، وكتاب ما لانت يراعيهم .

لأن حق العلوم الخشوع، وحق الدين الاتعاض ، ولا خير في
جسد يسمع هذه النصوص فلا يتعظ، قال تعالى: (قُلْ آمَنُوا
بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ
يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ
وَعدُّ رَبَّنَا لمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ
خُشوعًا ۞ (١٠٩) . سورة الإسراء .

ولذلك كانت الحاجة ماسة لتوليد رقة القلب والجسم ، حتى
يثمر العلم، ويتعظ المرء، ويعايش ذلك ويتفقه من خلال
السنن الموروثة ، والصحاح المنقولة .
وأعظم ذلك الوحي، كتاب الله الحكيم، والسنن الصالحة
الصحيحة، فهي دواء كل علة، وسلوة المبتلى، وغذاء
المؤمن، وزاد الراحل، وحلية الطلب، وطاقة المسرور،
ووقود المتهمم ، وشفاء الحيران، وفقنا الله وإياكم لحفظها
والعمل بما فيها ، إنه جواد كريم .

١٢ / ٩ / ١٤٤١ هـ

١- الحديث الأول : البكاء في الصلاة:

عَنْ مُطَرِّفٍ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي وَفِي صَدْرِهِ أَزِيْزٌ كَأَزِيْزِ الرَّحَى مِنْ الْبُكَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. أبو داود (٩٠٤).
فيه بكاء رسول الله في الصلاة وصحتها، ومدى تأثير المؤمن الحي من وقع الآيات .

قال في العون : أي صوت (كأزيز الرحى) يعني الطاحون.
قال الخطابي: أزيز الرحى صوتها وحرارتها (من البكاء) أي من أجله. قال ابن حجر المكي في شرح الشمانل: هو بالقصر خروج الدمع مع الحزن، وبالمد خروجه مع رفع الصوت. انتهى. وفي الحديث دليل على أن البكاء لا يبطل الصلاة سواء ظهر منه حرفان أم لا، وقد قيل: إن كان البكاء من خشية الله لم يبطل وهذا الحديث يدل عليه !!

٢- الحديث الثاني : بكاء الرحمة :

عَنْ أُسَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كَانَ ابْنُ لِبَعْضِ بَنَاتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقْضِي، فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ أَنْ يَأْتِيَهَا، فَأَرْسَلَ : (إِنَّ لِلَّهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أُعْطِيَ، وَكُلُّ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ) . فَأَرْسَلْتُ إِلَيْهِ، فَأَقْسَمَتْ عَلَيْهِ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَمْتُ مَعَهُ وَمُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ وَأَبِيُّ بْنُ كَعْبٍ وَعَبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، فَلَمَّا دَخَلْنَا، نَاولُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الصَّبِيَّ، وَنَفْسُهُ تَقَلَّقَلُ فِي صَدْرِهِ - أي تتحرك بصوت شديد- حَسِبْتُهُ قَالَ : كَانَتْهَا شَنَّةٌ - أي القربة البالية - فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ : أَتَبْكِي ؟ فَقَالَ : " إِنَّمَا يَرْحَمُ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الرَّحْمَاءَ) . البخاري (٧٤٤٨) مسلم (٩٢٣).

فيه أن البكاء رحمة ومشاعر، تسلي النفس وتجبر المحزون

قال النووي رحمه الله : معناه : أن سعدا ظن أن جميع أنواع البكاء حرام ، وأن دمع العين حرام ، وظن أن النبي صلى الله عليه وسلم نسي فذكره ، فأعلمه النبي صلى الله عليه وسلم أن مجرد البكاء ودمع بعين ليس بحرام ولا مكروه ، بل هو رحمة وفضيلة ، وإنما المحرم النوح والندب والبكاء المقرون بهما أو بأحدهما كما في الأحاديث : " إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب ، ولكن يعذب بهذا أو يرحم ، وأشار إلى لسانه " ، وفي الحديث الآخر : " العين تدمع والقلب يحزن ، ولا نقول ما يسخط الله " ، وفي الحديث الآخر : " ما لم يكن لقع أو لقلقة " .

وفي الفتح قال : وفيه الترغيب في الشفقة على خلق الله والرحمة لهم، والترهيب من قساوة القلب وجمود العين، وجواز البكاء من غير نوح ونحوه.

وجواز استحضار ذوي الفضل للمحتضر لرجاء بركتهم ودعائهم وجواز القسم عليهم لذلك ، وجواز المشي إلى التعزية والعيادة بغير إذن بخلاف الوليمة،...!

٣- الحديث الثالث : البكاء على الفقد :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : اشْتَكَى سَعْدُ بْنُ عَبَادَةَ شَكْوَى لَهُ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَعُودُهُ مَعَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهِ وَجَدَهُ فِي غَشِيَّةٍ، فَقَالَ : " أَقْدَ قَضَى ؟ " . قَالُوا : لَا، يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَبَكَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمَ بُكَاءَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؛ بَكَوْا، فَقَالَ : " أَلَا تَسْمَعُونَ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُعَذِّبُ بِدَمْعِ

الْعَيْنِ، وَلَا بِحُزْنِ الْقَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهِذَا - وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ -
أَوْ يَرْحَمُ". البخاري (١٣٠٤) مسلم (٩٢٤).

فيه البكاء على فقدان الأحبة والأصفياء .

قال في الفتح رحمه الله : وفي حديث ابن عمر من الفوائد استحباب عيادة المريض، وعيادة الفاضل للمفضول، والإمام أتباعه مع أصحابه، وفيه النهي عن المنكر وبيان الوعيد عليه.

٤- الحديث الرابع : التغافل عن البكاء الكثير :

عَنْ أَنَسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خُطْبَةً مَا سَمِعْتُ مِثْلَهَا قَطُّ، قَالَ : (لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا " . قَالَ : فَغَطَّى أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وُجُوهَهُمْ لَهُمْ خَنِينٌ ، فَقَالَ رَجُلٌ : مَنْ أَبِي ؟ قَالَ : " فَلَانٌ " . فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : { لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدَّلَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ } . البخاري (٤٦٢١) مسلم (٤٢٦) . وفي لفظ : (بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ أَصْحَابِهِ شَيْئًا ، فَخَطَبَ فَقَالَ : " عُرِضَتْ عَلَيَّ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ ، فَلَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ) .

فيه ضرورة التفكير في حقارة الدنيا، والتطلع إلى الدار الآخرة وما فيها من أهوال ، تحمل على الأهبة والحدز . وشفقة الصحابة من ذلك الموقف ، وكان عمرو بن قيس - رحمه الله إذا نظر إلى أهل السوق بكى وقال : " ما أغفل هؤلاء عما أعد لهم "

قال النووي رحمه الله : ومعنى الحديث : لم أر خيرا أكثر مما رأيته اليوم في الجنة ، ولا شرا أكثر مما رأيته اليوم في النار ، ولو رأيتم ما رأيتم ، وعلمتم ما علمت مما رأيته اليوم وقبل اليوم لأشفقتهم إشفاقا بليغا ، ولقل ضحككم ، وكثر

بكاؤكم ، وفيه دليل على أنه لا كراهة في استعمال لفظة " لو " في مثل هذا ، والله أعلم .
قال في الفتح : قوله: (لهم حنين) . بالحاء المهملة للأكثر،
وللكشميهني بالحاء المعجمة، والأول الصوت الذي يرتفع
بالبكاء من الصدر، والثاني من الأنف. وقال الخطابي:
الحنين بكاء دون الانتحاب، وقد يجعلون الحنين والخنين
واحدا إلا أن الحنين من الصدر أي المهملة والخنين من
الأنف بالمعجمة. وقال عياض: رويناه عن العذري بالحاء
المهملة ، وعن غيره بالحاء المعجمة، وهو الصحيح في هذا
الموضع ، وهو بكاء معه صوت.

٥- الحديث الخامس : فضل البكاء من خشية الله :

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: (عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ : عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ). الترمذي (١٦٣٩).

فيه فضل البكاء من خشية الله، وأن في القرآن والسنة من المواضع ما يحقق ذلك ، وأن دموع صادقة هي مفتاح إلى الجنة ، واحترز بقوله من خشية الله، من التلامس رياءً أو سمعة عيادا بالله من ذلك .

قوله : (عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ) أي لا تمس صاحبهما ، فعبر بالجزء عن الجملة ، وعبر بالتمس إشارة إلى امتناع ما فوقه بالأولى ، وفي رواية " أبدا " وفي رواية " لا تريان النار "

قال سفيان بن عيينة رحمه الله: " البكاء من مفاتيح التوبة ؛ ألا ترى أنه يرق فيندم " ؟ وبكى الحسن رحمه الله:-

فقيل: ما يبكيك؟ قال: " أخاف أن يطرحني خدا في النار ولا يبالي ".

٦- الحديث السادس : البكاء عند البلاء :

عن عائشة رضي الله عنها في قصة الإفك... قالت : فَتَارَ الْحَيَّانِ ؛ الْأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ ، حَتَّى هَمُّوا وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمَنْبَرِ ، فَنَزَلَ فَخَفَّضَهُمْ حَتَّى سَكَتُوا وَسَكَتَ ، وَبَكَيْتُ يَوْمِي لَا يِرْقَأُ لِي دَمْعٌ ، وَلَا أَكْتَحِلُ بِنَوْمٍ ، فَأَصْبَحَ عِنْدِي أَبُوَائِي قَدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ وَيَوْمًا ، حَتَّى أَظُنُّ أَنَّ الْبُكَاءَ فَالِقٌ كَبْدِي . البخاري (٢٦٦٩) مسلم (٢٧٧٠) .

فيه بكاء عائشة رضي الله على بلواها في قصة الإفك، وبيان شدة البلاء عليها وعلى البيت النبوي ، وامتحان الصالحين وصبرهم واحتسابهم .

قال في الفتح : قوله: (لا يرقأ لي دمع) بالقاف بعدها همزة أي لا ينقطع.

قوله: (ولا أكتحل بنوم) استعارة للسهر، ووقع في رواية مسروق عن أم رومان : " فخرت مغشيا عليها، فما استفاقت إلا وعليها حمى بنافض، فطرحت عليها ثيابها فغطيتها " وفي رواية الأسود عن عائشة: " فألقت علي أمي كل ثوب في البيت " .

قال النووي رحمه الله : براءة عائشة رضي الله عنها من الإفك ، وهي براءة قطعية بنص القرآن العزيز ، فلو تشكك فيها إنسان - والعياذ بالله - صار كافرا مرتدا بإجماع المسلمين ، قال ابن عباس وغيره : لم تزن امرأة نبي من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، وهذا إكرام من الله تعالى لهم . وفيه غضب المسلمين عند انتهاك حرمة أميرهم ، واهتمامهم بدفع ذلك .

٧- الحديث السابع : البكاء فى الاجتهاد :

عن ابن عباس رضى الله عنهما ، فى قصة أسرى بدر...
قال : فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْعَدِ جِئْتُ فَأَذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَأَبُو بَكْرٍ قَاعِدَيْنِ يَبْكِيَانِ ، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، أَخْبِرْنِي مِنْ أَيْ شَيْءٍ تَبْكِي أَنْتَ وَصَاحِبُكَ ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيتُ ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ بُكَاءً تَبَاكَيْتُ لِبُكَايَكُمَا . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنْ أَخَذِهِمُ الْفِدَاءَ ؛ لَقَدْ عَرَضَ عَلَيَّ عَذَابُهُمْ أَدْنَى مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ " .
مسلم (١٧٦٣).

فيه مشروعية الاجتهاد، والبكاء والتأسف عند الخطأ،
ومشاوره القائد أصحابه ، وفيه: مواساة الأحبة والخلائ
بالبكاء والتبكي لبكائهم.

٨- الحديث الثامن : بكاء الوفاة النبوية :

عن عائشة رضى الله عنها فى قصة الوفاة النبوية قالت :
فَحَمَدَ اللَّهُ أَبُو بَكْرٍ وَأَنْتَى عَلَيْهِ ، وَقَالَ : أَلَا مَنْ كَانَ يَعْْبُدُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ ، وَمَنْ كَانَ يَعْْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، وَقَالَ : { إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ } ،
وَقَالَ : { وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ } . قَالَ : فَنَشَجَ النَّاسُ يَبْكُونَ ، قَالَ : وَاجْتَمَعَتِ الْأَنْصَارُ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ فِي سَقِيفَةِ بَنِي سَاعِدَةَ ... الحديث . البخاري (٣٦٦٧) .

فيه ضخامة وقع الوفاة النبوية على الصحابة الكرام رضى الله عنهم ، وفضل أبى بكر فى تفهم الحادثة واستحضار القرآن وتشبيت الناس .

قال في الفتح رحمه الله : قوله: (فنشج الناس) بفتح النون وكسر المعجمة بعدها جيم أي: بكوا بغير انتحاب، والنشج ما يعرض في حلق الباكي من الغصة، وقيل: هو صوت معه ترجيع كما يردد الصبي بكاءه في صدره....
وفي الحديث : قوة جأش أبي بكر وكثرة علمه، وقد وافقه على ذلك العباس كما ذكرنا، والمغيرة كما رواه ابن سعد وابن أم مكتوم كما في المغازي لأبي الأسود عن عروة قال: " إنه كان يتلو قوله تعالى: { إنك ميت وإنهم ميتون } والناس لا يلتفتون إليه، وكان أكثر الصحابة على خلاف ذلك " فيؤخذ منه أن الأقل عددا في الاجتهاد قد يصيب ، ويخطئ الأكثر فلا يتعين الترجيح بالأكثر، ولا سيما إن ظهر أن بعضهم قلد بعضا.

٩- الحديث التاسع : بكاء العلم :

عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي سَفَرٍ ، فَتَفَاوَتَ بَيْنَ أَصْحَابِهِ فِي السَّيْرِ ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ صَوْتَهُ بِهَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ : { يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ } وفيه : فَقَالَ : " هَلْ تَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ ذَلِكَ ؟ " قَالُوا : اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ ، قَالَ : " ذَلِكَ يَوْمٌ يُنَادِي اللَّهُ فِيهِ آدَمَ فَيُنَادِيهِ رَبُّهُ ، فَيَقُولُ : يَا آدَمُ ابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ ، فَيَقُولُ : أَيُّ رَبِّ وَمَا بَعْثَ النَّارِ ؟ ، فَيَقُولُ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعُمِائَةٍ وَتِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ إِلَى النَّارِ وَوَاحِدٌ فِي الْجَنَّةِ " ، فَيُنَسِّسُ الْقَوْمَ حَتَّى مَا أَبْدَوْا بِضَاحِكَةٍ ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي بِأَصْحَابِهِ قَالَ : " اْعْمَلُوا وَأَبْشِرُوا فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ إِنَّكُمْ لَمَعَ خَلِيقَتَيْنِ ، مَا كَانَتَا مَعَ شَيْءٍ إِلَّا كَثَرَتَاهُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ، وَمَنْ مَاتَ مِنْ بَنِي آدَمَ وَبَنِي إِبْلِيسَ " قَالَ : فَسُرِّي

عَنْ الْقَوْمِ بَعْضُ الَّذِي يَجِدُونَ، فَقَالَ: " اَعْمَلُوا وَأَبْشِرُوا
فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّامَةِ فِي
جَنْبِ الْبَعِيرِ، أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الدَّابَّةِ ". الترمذي (٣١٦٩)
وقال حديث حسن صحيح . وأصله في البخاري (٤٧٤١)
مسلم (٢٢٢).

فيه بيان ما كان عليه الصحابة من التأثر بالعلم، وترك
الضحك، والإصغاء التام لرسول الله .

قال في الفتح : قوله: (فاشتد ذلك عليهم) في حديث ابن
عباس: " فشق ذلك على القوم ووقعت عليهم الكآبة والحزن
" وفي حديث عمران عند الترمذي من رواية ابن جدعان
عن الحسن: " فأنشأ المؤمنون يبكون " ومن رواية قتادة
عن الحسن: " فنبس القوم حتى ما أبدوا بضحكة " ونبس
بضم النون وكسر الموحدة بعدها مهملة معناه تكلم فأسرع
وأكثر ما يستعمل في النفي وفي رواية شيبان عن قتادة عند
ابن مردويه: " أبلسوا " وكذا له نحوه من رواية ثابت عن
الحسن.

١٠- الحديث العاشر : البكاء على الآباء :

عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سِ قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ : { إِذَا
جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ } . دَعَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
فَاطِمَةَ فَقَالَ : " قَدْ نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي " . فَبَكَتْ، فَقَالَ : " لَا
تَبْكِي ؛ فَإِنَّكَ أَوْلُ أَهْلِي لِحَاقًا بِي " . فَضَحِكَتْ، فَرَأَاهَا بَعْضُ
أَزْوَاجِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْنَ : يَا فَاطِمَةُ، رَأَيْنَاكَ
بَكَيْتَ ثُمَّ ضَحِكْتَ ؟ قَالَتْ : إِنَّهُ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ قَدْ نُعِيَتْ إِلَيْهِ
نَفْسُهُ، فَبَكَيْتُ، فَقَالَ لِي : " لَا تَبْكِي ؛ فَإِنَّكَ أَوْلُ أَهْلِي لِأَحَقُّ
بِي " . فَضَحِكْتُ. الدارمي (٨٠) وأصله في الصحيح بدون
البكاء (٣٦٢٧) .

فيه بيان موقع الأب من أبنائه وشدة تعلقهم به، وحسن فقه رسول الله للقرآن، وطيب مواساته لأهله وبنيه، واستحباب التبشير.

١١- الحديث الحادي عشر: البكاء من الفرح:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنْتُ أَدْعُو أُمَّي إِلَى الْإِسْلَامِ وَهِيَ مُشْرِكَةٌ، فَدَعَوْتُهَا يَوْمًا فَأَسْمَعْتَنِي فِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَكْرَهُ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَبْكِي، قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أَدْعُو أُمَّي إِلَى الْإِسْلَامِ فَتَأْبَى عَلَيَّ، فَدَعَوْتُهَا الْيَوْمَ، فَأَسْمَعْتَنِي فِيكَ مَا أَكْرَهُ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " اللَّهُمَّ اهْدِ أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ ". فَخَرَجْتُ مُسْتَبْشِرًا بِدَعْوَةِ نَبِيِّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا جِئْتُ، فَصَرْتُ إِلَى الْبَابِ، فَإِذَا هُوَ مُجَافٌ، فَسَمِعْتُ أُمَّي خَشْفَ قَدَمَيَّ، فَقَالَتْ : مَكَانَكَ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ. وَسَمِعْتُ خَضْخَضَةَ الْمَاءِ، قَالَ : فَاعْتَسَلْتُ وَلَبَسْتُ دِرْعَهَا، وَعَجَلْتُ عَنْ خِمَارِهَا، فَفَتَحَتِ الْبَابَ، ثُمَّ قَالَتْ : يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ : فَرَجَعْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَيْتُهُ وَأَنَا أَبْكِي مِنَ الْفَرَحِ، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَبْشِرْ، قَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَكَ، وَهَدَى أُمَّ أَبِي هُرَيْرَةَ. فَحَمَدَ اللَّهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَقَالَ خَيْرًا، قَالَ : قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يُحِبِّبَنِي أَنَا وَأُمَّي إِلَى عِبَادَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُحِبِّبَهُمَ إِلَيْنَا. قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " اللَّهُمَّ حَبِّبْ عَبْدَكَ هَذَا - يَعْنِي أَبَا هُرَيْرَةَ - وَأُمَّهُ إِلَى عِبَادِكَ الْمُؤْمِنِينَ، وَحَبِّبْ إِلَيْهِمُ الْمُؤْمِنِينَ ". فَمَا خُلِقَ مُؤْمِنٌ يَسْمَعُ بِي، وَلَا يَرَانِي إِلَّا أَحَبَّنِي. مسلم (٢٤٩١).

فيه البكاء من شدة الفرح، وفضل أبي هريرة رضي الله عنه،
والحرص على هداية الأقارب والأحباب، والصبر في الدعوة

قال النووي رحمه الله: قوله: (خشف قدمي) أي :
صوتهما في الأرض ، وخضخضة الماء : صوت تحريكه ،
وفيه استجابة دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم على
الفور بعين المسئول ، وهو من أعلام نبوته صلى الله عليه
وسلم ، واستحباب حمد الله عند حصول النعم .

١٢- الحديث الثاني عشر : البكاء لذكرى رسول الله :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى سُوْقِ بَنِي قَيْنِقَاعٍ مُتَّكِنًا عَلَى يَدَيْهِ ، فَطَافَ
فِيهَا ، ثُمَّ رَجَعَ فَاحْتَبَى فِي الْمَسْجِدِ ، وَقَالَ : " أَيْنَ لِكَاعٍ ؟
ادْعُوا لِي لِكَاعًا " . فَجَاءَ الْحَسَنُ ، فَاشْتَدَّ حَتَّى وَثَبَ فِي
حَبْوَتِهِ ، فَأَدْخَلَ فَمَهُ فِي فَمِهِ ، ثُمَّ قَالَ : " اللَّهُمَّ إِنِّي أَحِبُّهُ
فَأَحِبَّهُ ، وَأَحِبُّ مَنْ يُحِبُّهُ " . ثَلَاثًا . قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ : مَا رَأَيْتُ
الْحَسَنَ إِلَّا فَاضَتْ عَيْنِي . أَوْ دَمَعَتْ عَيْنِي . أَوْ بَكَيتُ ، شَكَتْ
الْخِيَاطُ . الْمَسْنَدُ (١٠٨٩١) . وَسَنَدُهُ حَسَنٌ .

فيه تذكر العظماء، وأن أحفادهم تجدد الشوق بهم وذكرهم ،
فتنهل المدامع ، وحسن خلق رسول الله ومحبة الأطفال
ورحمتهم .

١٣- الحديث الثالث عشر : البكاء لمصرع الخوارج

والمنحرفين : عن أبي غالب قال : لَمَّا أَتَى بِرُؤُوسِ
الْأَزَارِقَةِ ، فَنَصَبَتْ عَلَى دَرَجِ دِمَشْقٍ جَاءَ أَبُو أَمَامَةَ ، فَلَمَّا
رَأَاهُمْ دَمَعَتْ عَيْنَاهُ ، فَقَالَ : كِلَابُ النَّارِ - ثَلَاثَ مَرَّاتٍ - هَؤُلَاءِ
شَرُّ قَتْلَى قُتِلُوا تَحْتَ أَيْدِي السَّمَاءِ ، وَخَيْرُ قَتْلَى قُتِلُوا تَحْتَ أَيْدِي

السَّمَاءِ الَّذِينَ قَتَلَهُمْ هَوْلًا. قَالَ : فَقُلْتُ : فَمَا شَأْنُكَ دَمَعَتْ
عَيْنَاكَ ؟ قَالَ : رَحْمَةٌ لَهُمْ، إِنَّهُمْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ. قَالَ :
قُلْنَا : أَبْرَأِيكَ قُلْتَ : هَوْلًا كِلَابِ النَّارِ، أَوْ شَيْءٌ سَمِعْتَهُ مِنْ
رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ؟ قَالَ : إِنِّي لَجَرِيءٌ، بَلْ
سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَيْرَ مَرَّةٍ، وَلَا
اِثْنَيْنِ، وَلَا ثَلَاثٍ. قَالَ : فَعَدَّ مَرَارًا. المسند (٢٢١٨٣) وهو
صحيح .

فيه البكاء والتوجع على من انحرف دربه، وضيع طريقه ،
وحاد عن الطريق المستقيم، والخوف من سوء الخاتمة،
وأن الخوارج وأشباههم ما أتوا إلا من جهلهم وشدوذهم ،
وهي أول فتنة وقعت في الإسلام
وأما معنى الحديث : فقال القاري رحمه الله في شرح المرقاة

:"أَيُّ هُمْ كِلَابٌ أَهْلِهَا، أَوْ عَلَى صُورَةِ كِلَابٍ فِيهَا "

وقال المناوي رحمه الله :

أي أنهم يتعاونون فيها عواء الكلاب ، أو أنهم أخس أهلها ،
وأحقرهم ، كما أن الكلاب أخس الحيوانات وأحقرها "
وعقابهم بهذا العقاب : أنهم كانوا في الدنيا كلابا على
المسلمين ، فيكفرونهم ويعتدون عليهم ويقتلونهم ، فعوقبوا
من جنس أعمالهم ، فصاروا كلابا في الآخرة .

١٤ - الحديث الرابع عشر : البكاء للمواعظ :

عن العَرَبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : صَلَّى بِنَا
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا
فَوَعظَنَا مَوْعِظَةً بَلِيغَةً، ذَرَفَتْ مِنْهَا الْعُيُونُ، وَوَجِلَتْ مِنْهَا
الْقُلُوبُ، فَقَالَ قَائِلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّ هَذِهِ مَوْعِظَةٌ مُودِعٍ،
فَمَاذَا تَعْهَدُ إِلَيْنَا ؟ قَالَ : (أَوْصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَالسَّمْعِ

وَالطَّاعَةَ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا، فَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي
فَسِيرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ
الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا، وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَإِيَّاكُمْ
وَمُحَدَّثَاتِ الْأُمُورِ؛ فَإِنَّ كُلَّ مُحَدَّثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.)
أبو داود (٤٦٠٧).

فيه البكاء والتأثر بالمواعظ الصادقة ، وعظم حديث رسول
الله ومقامه من الصحابة والسامعين .
وأن صدق الموعظة من صدق الداعية وثباته وحسن إخبارته
إلى ربه، وأن ما خرج من القلب وقع في القلب .

١٥ - الحديث الخامس عشر : القطرة المحبوبة :

عَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ، قَالَ : (لَيْسَ شَيْءٌ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ، مِنْ قَطْرَتَيْنِ، وَأَثْرَيْنِ
: قَطْرَةٌ مِنْ دُمُوعٍ فِي خَشْيَةِ اللَّهِ، وَقَطْرَةٌ مِنْ تَهْرَاقٍ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ. وَأَمَّا الْأَثْرَانِ : فَأَثْرٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَأَثْرٌ فِي فَرِيضَةٍ مِنْ
فَرَائِضِ اللَّهِ) . الترمذي (١٦٦٩).

فيه فضل الدموع والقطرات السيالة من خشية الله .
قال في التحفة : (من خشية الله)

أي من شدة خوفه وعظمته المورثة لمحبتة، (قطرة دم
تهراق) بصيغة المجهول وسكون الهاء ويفتح وهو بصيغة
التأنيث على أنه صفة قطرة.

(في سبيل الله) وهو بعمومه يشمل الجهاد وغيره من سبيل
الخير ، ولعل وجه إفراد الدم وجمع الدموع أن الدمع غالباً
يتقاطر ويتكاثر بخلاف الدم . وقال الطيبي : المراد بقطرة
الدموع قطراتها فلما أضيفت إلى الجمع أفردت ثقة بذهن
السامع ، وفي إفراد الدم وجمع الدموع إيدان بتفضيل إهراق
الدم في سبيل الله على ، تقاطر الدمع بكاء انتهى .

١٦- الحديث السادس عشر : البكاء على القرآن :

عن عائشة رضي الله عنها قالت : لم أعقل أبوي قط إلا وهما يدينان الدين، ولم يمر علينا يوم إلا يأتينا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفي النهار بكرة و عشيّة، فلما ابتلي المسلمون خرج أبو بكر مهاجرًا قبل الحبشة، ... وفيه : " وكان أبو بكر رجلًا بكاءً، لا يملك دمعهُ حين يقرأ القرآن، فأفزع ذلك أشراف قريش من المشركين، ... " البخاري (٢٢٩٧) .

فيه فضل التأثر بالقرآن، ورهافة حس أبي بكر وأنه من البكائين المتأثرين بذكر الله والتلاوة .

١٧- الحديث السابع عشر : ذكرى وفاة رسول الله :

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أنه قال : يوم الخميس، وما يوم الخميس. ثم بكى حتى خضب دمعهُ الحصباء، فقال : اشتد برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه يوم الخميس، فقال : " انثوني بكتاب أكتب لكم كتابًا لن تضلوا بعده أبدًا " . فتنازعوا، ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا : هجر رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال : " دعوني، فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه " . وأوصى عند موته بثلاث : " أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفاء بنحو ما كنتم أجيزهم " . ونسيت الثالثة. البخاري (٣٠٥٣) (١٦٣٧) .
فيه التوجع بذكرى وفاة رسول الله، وأن فقدته كان شديدًا على الصحابة رضي الله عنهم .

قال في الفتح : " وقوله: (وما يوم الخميس) يستعمل عند إرادة تفخيم الأمر في الشدة والتعجب منه، زاد في أواخر الجهاد من هذا الوجه " ثم بكى حتى خضب دمعهُ الحصباء " ولمسلم من طريق طلحة بن مصرف عن سعيد بن جبير "

ثم جعل تسيل دموعه حتى رأيتها على خديه كأنها نظام اللؤلؤ " وبكاء ابن عباس يحتمل لكونه تذكراً وفاة رسول الله فتجدد له الحزن عليه، ويحتمل أن يكون انضاف إلى ذلك ما فات في معتقده من الخير الذي كان يحصل لو كتب ذلك الكتاب، ولهذا أطلق في الرواية الثانية أن ذلك رزية، ثم بالغ فيها فقال: كل الرزية "

١٨ - الحديث الثامن عشر : رقة أبي بكر في التلاوة :

عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : لَمَّا دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْتِي ، قَالَ : " مُرُّوا أَبَا بَكْرٍ ، فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ " . قَالَتْ : فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ إِذَا قَرَأَ الْقُرْآنَ لَا يَمْلِكُ دَمْعُهُ ، فَلَوْ أَمَرْتَ غَيْرَ أَبِي بَكْرٍ . قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا بِي إِلَّا كَرَاهِيَةٌ أَنْ يَتَشَاءَمَ النَّاسُ بِأَوَّلِ مَنْ يَقُومُ فِي مَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَتْ : فَرَأَجَعْتُهُ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ، فَقَالَ : " لِيُصَلِّ بِالنَّاسِ أَبُو بَكْرٍ ، فَإِنَّكَ صَوَّاحِبٌ يُوسُفَ " . البخاري (٦٦٤) مسلم (٣١٨) .

فيه فضل أبي بكر ورقته عند تلاوة القرآن، وعظم اتعاضه به

قال النووي رحمه الله: قوله صلى الله عليه وسلم: (إنكن لأنتن صواحب يوسف) أي في التظاهر على ما تردن، وكثرة إلحاحكن في طلب ما تردنه وتملن إليه، وفي مراجعة عائشة جواز مراجعة ولي الأمر على سبيل العرض والمشاورة والإشارة بما يظهر أنه مصلحة، وتكون تلك المراجعة بعبارة لطيفة...

١٩ - الحديث التاسع عشر : بكاء الرجوع في النذر :

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهَا حَدَّثَتْ ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ قَالَ فِي بَيْعٍ أَوْ عَطَاءٍ أَعْطَتْهُ عَائِشَةُ : وَاللَّهِ لَتَنْتَهِيَنَّ عَائِشَةُ أَوْ

لأَجْرَنَ عَلَيْهَا. فَقَالَتْ : أَهْوَقَالَ هَذَا ؟ قَالُوا : نَعَمْ. قَالَتْ : هُوَ لِلَّهِ عَلَيَّ نَذْرٌ أَنْ لَا أَكَلِّمَ ابْنَ الزُّبَيْرِ أَبَدًا. فَاسْتَشْفَعَ ابْنُ الزُّبَيْرِ إِلَيْهَا ... وَفِيهِ .. فَلَمَّا أَكْثَرُوا عَلَى عَائِشَةَ مِنَ التَّذْكَرَةِ وَالتَّحْرِيجِ ، طَفَقَتْ تُذَكِّرُهُمَا وَتَبْكِي ، وَتَقُولُ : إِنِّي نَذَرْتُ ، وَالنَّذْرُ شَدِيدٌ. فَلَمْ يَزَالَا بِهَا حَتَّى كَلَّمَتِ ابْنَ الزُّبَيْرِ ، وَأَعْتَقَتْ فِي نَذْرِهَا ذَلِكَ أَرْبَعِينَ رَقَبَةً ، وَكَانَتْ تُذَكِّرُ نَذْرَهَا بَعْدَ ذَلِكَ ؛ فَتَبْكِي حَتَّى تَبُلَّ دُمُوعُهَا خِمَارَهَا. البخاري (٦٠٧٥).

٢٠- الحديث العشرون : البكاء على آثار الصالحين :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى هَذَا الْمَنْبَرِ ، يَقُولُ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْيَوْمِ مِنْ عَامِ الْأَوَّلِ. ثُمَّ اسْتَعْبَرَ أَبُو بَكْرٍ ، وَبَكَى ، ثُمَّ قَالَ : سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : " لَمْ تُؤْتُوا شَيْئًا بَعْدَ كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ مِثْلَ الْعَافِيَةِ ؛ فَاسْأَلُوا اللَّهَ الْعَافِيَةَ ". المسند (١٠) .

فيه البكاء على آثار الصالحين ، وتذكر علمهم ومكانهم ومكانتهم .

وفيه فضل العافية ، وهي في الدنيا : المقصود بها طلب السلامة من الأسقام ، والأمراض ، والبلاء ، وطلب الأمان من كل ما يضر العبد في دنياه .
العافية في الآخرة : العافية في الآخرة فإنها تكون بالسلامة والأمن من عذاب الآخرة ، والوقاية من أهوالها ، وشدائدها ، وكرباتها .

٢١- الحديث الحادي والعشرون : الفقيه البكاء :

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَلَسَ عَلَى الْمَنْبَرِ ، فَقَالَ : (إِنَّ عَبْدًا خَيْرَهُ اللَّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ ، وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ " . فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ ، وَقَالَ : فِدِينَاكَ يَا بَابِنَا ، وَأُمَّهَاتِنَا .

فَعَجِبْنَا لَهُ، وَقَالَ النَّاسُ : انظُرُوا إِلَى هَذَا الشَّيْخِ . البخاري (٣٩٠٤) مسلم (٢٣٨٢) .

فيه بيان سرعة دمع الفقيه، والبكاء في ملأ من الناس، لمن أمن الفتنة، أو خرج منه بلا قصد .

قال في الفتح : " فيه من الفوائد : فضيلة ظاهرة لأبي بكر الصديق وأنه كان متأهلاً لأن يتخذه النبي صلى الله عليه وسلم خليلاً لولا المانع المتقدم ذكره، ويؤخذ منه أن للخليل صفة خاصة تقتضي عدم المشاركة فيها، وأن المساجد تصان عن التطرق إليها لغير ضرورة مهمة، والإشارة بالعلم الخاص دون التصريح لإثارة أفهام السامعين وتفاوت العلماء في الفهم، وأن من كان أرفع في الفهم استحق أن يطلق عليه أعلم، وفيه الترغيب في اختيار ما في الآخرة على ما في الدنيا، وفيه شكر المحسن والتتويه بفضلته والثناء عليه، وقال ابن بطال: فيه أن المرشح للإمامة يخص بكرامة تدل عليه كما وقع في حق الصديق في هذه القصة.

٢٢ - الحديث الثاني عشر : البكاء لانقطاع الوحي :

عن أنس رضي الله عنه قال : قال أبو بكر رضي الله عنه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر : انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها، كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها. فلما انتهينا إليها بكت، فقالاتها : ما يبكيك؟ ما عند الله خير لرسوله صلى الله عليه وسلم. فقالت : ما أبكي أن لا أكون أعلم أن ما عند الله خير لرسوله صلى الله عليه وسلم، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء. فهيجتاهما على البكاء، فجعلتا يبكيان معها. مسلم (٢٤٥٤) .

فيه تأثر الصحابة بفقدان الوحي وغياب رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال النووي رحمه الله : " فيه زيارة الصالحين وفضلها ،
وزيارة الصالح لمن هو دونه ، وزيارة الإنسان لمن كان
صديقه يزوره ولأهل ود صديقه ، وزيارة جماعة من الرجال
للمرأة الصالحة وسماع كلامها ، واستصحاب العالم والكبير
صاحباً له في الزيارة والعيادة ونحوهما ، والبكاء حزناً على
فراق الصالحين والأصحاب وإن كانوا قد انتقلوا إلى أفضل
مما كانوا عليه ، والله أعلم ."

٢٣- الحديث الثالث والعشرون : تسليّة الزوجة الحزينة :

عَنْ عَائِشَةَ ، قَالَتْ : خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
لَا نَذْكُرُ إِلَّا الْحَجَّ فَلَمَّا جِئْنَا سَرَفَ طَمِثْتُ ، فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا أَبْكِي ، فَقَالَ : " مَا يُبْكِيكِ ؟ " قُلْتُ
: لَوَدِدْتُ وَاللَّهِ ، أَنِّي لَمْ أَحِجَّ الْعَامَ . قَالَ : " لَعَلَّكَ نَفَسْتِ ؟ "
قُلْتُ : نَعَمْ . قَالَ : " فَإِنَّ ذَلِكَ شَيْءٌ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَى بَنَاتِ آدَمَ ،
فَأَفْعَلِي مَا يَفْعَلُ الْحَاجُّ غَيْرَ أَنْ لَا تَطُوفِي بِالْبَيْتِ حَتَّى تَطْهُرِي
." البخاري (٣٠٥) مسلم (١٢١١) .

فيه تسليّة المرأة الحزينة واسترضاؤها ، وحين معاشره
رسول الله لزوجاته .

قال النووي رحمه الله : " قوله صلى الله عليه وسلم : (
أنفست)

معناه : أحضت ؟ وهو بفتح النون وضمها لغتان مشهورتان
، الفتح أفصح ، والفاء مكسورة فيهما ، وأما النفاس الذي
هو الولادة فيقال فيه : (نفست) بالضم لا غير .

قوله صلى الله عليه وسلم في الحيض : (هذا شيء كتبه الله
على بنات آدم) هذا تسليّة لها وتخفيف لهما ، ومعناه :
أنك لست مختصة به ، بل كل بنات آدم يكون منهن هذا ، كما
يكون منهن ومن الرجال البول والغائط وغيرهما ."

٢٤ - الحديث الرابع والعشرون : البكاء عند الرواية:

عَنْ عَمْرٍو بْنِ مَيْمُونٍ ، قَالَ : مَا أَخْطَأَنِي ابْنُ مَسْعُودٍ عَشِيَّةَ خَمِيسٍ إِلَّا أَتَيْتُهُ فِيهِ ، قَالَ : فَمَا سَمِعْتُهُ يَقُولُ بِشَيْءٍ قَطُّ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَلَمَّا كَانَ ذَاتَ عَشِيَّةٍ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . قَالَ : فَانْكَسَ . قَالَ : فَانْظَرْتُ إِلَيْهِ فَهُوَ قَائِمٌ مُحَلَّلَةٌ أَزْرَارُ قَمِيصِهِ قَدْ اغْرُورَقَتْ عَيْنَاهُ ، وَانْتَفَخَتْ أَوْدَاجُهُ ، قَالَ : أَوْ دُونَ ذَلِكَ ، أَوْ فَوْقَ ذَلِكَ ، أَوْ قَرِيبًا مِنْ ذَلِكَ ، أَوْ شَبِيهَا بِذَلِكَ . ابن ماجه (٢٤) .

فيه توقي الحديث عن رسول الله ، وخشية الكذب عليه ، والانتحاب عند ذكره ونشر العلم ، وشدة ورع ابن مسعود رضي الله عنه ، وهي موعظة للطلاب المتجاسرين على العلم والتوقيع عن الله تعالى .

قال الشيخ السندي رحمه الله: قوله (قد اغرورقت عيناه) في القاموس اغرورقت عيناه ، دمعتا كأنها غرقتا في دمعها انتهى .

٢٥ - الحديث الخامس والعشرون : بكاء المجالس النبوية :

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قال : مرَّ أَبُو بَكْرٍ ، وَالْعَبَّاسُ رضي الله عنهما بِمَجْلِسٍ مِنْ مَجَالِسِ الْأَنْصَارِ وَهُمْ يَبْكُونَ ، فَقَالَ : مَا يُبْكِيكُمْ ؟ قَالُوا : ذَكَرْنَا مَجْلِسَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَّْا . فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ ، قَالَ : فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ عَصَبَ عَلَى رَأْسِهِ حَاشِيَةَ بُرْدٍ ، قَالَ : فَصَعِدَ الْمُنْبَرَ وَلَمْ يَصْعَدْهُ بَعْدَ ذَلِكَ الْيَوْمَ ، فَحَمِدَ اللَّهَ ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : " أَوْصِيكُمْ بِالْأَنْصَارِ ؛ فَإِنَّهُمْ كَرَشِي ، وَعَيْبَتِي وَقَدْ قَضُوا الَّذِي عَلَيْهِمْ ، وَبَقِيَ الَّذِي لَهُمْ فَاقْبَلُوا مِنْ مُحْسِنِهِمْ ، وَتَجَاوَزُوا عَنْ مُسِيئِهِمْ " . البخاري (٣٧٩٩) مسلم (٢٥١٠) .

فيه فضل المجالس النبوية، وتأثر الصحابة بها، وحرص الأنصار رضي الله عنهم عليها، وتألمهم بفقدانها .
قال في الفتح : " قوله: (ذكرنا مجلس النبي صلى الله عليه وسلم) أي: الذي كانوا يجلسونه معه، وكان ذلك في مرض النبي صلى الله عليه وسلم، فخشوا أن يموت من مرضه فيفقدوا مجلسه، فبكوا حزنا على فوات ذلك ."

قوله: (كَرَشِي وَعَيْبِي) أي: بطانتي وخاصتي، قال القزاز: ضرب المثل بالكرش؛ لأنه مستقر غذاء الحيوان الذي يكون فيه نماؤه، ويقال: لفلان كرش منثور، أي: عيال كثيرة، والعيبة - بفتح المهملة وسكون المثناة بعدها موحدة - ما يحرز فيه الرجل نفيس ما عنده، يريد أنهم موضع سره وأمانته، قال ابن دريد: هذا من كلامه صلى الله عليه وسلم الموجز الذي لم يسبق إليه. وقال غيره: الكرش بمنزلة المعدة للإنسان، والعيبة مستودع الثياب، والأول أمر باطن والثاني أمر ظاهر، فكأنه ضرب المثل بهما في إرادة اختصاصهم بأموره الباطنة والظاهرة، والأول أولى، وكل من الأمرين مستودع لما يخفى فيه.

٢٦ - الحديث السادس والعشرون : بكاء المعتذر :

عن أبي هريرة رضي الله عنه في قصة فتح مكة ومدحه لأبي سفيان.... وفيه : " قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ " . قَالُوا : لَبَّيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ . قَالَ : " قُلْتُمْ : أَمَا الرَّجُلُ فَأَدْرَكَتْهُ رَغْبَةٌ فِي قَرِيْبَتِهِ " . قَالُوا : قَدْ كَانَ ذَلِكَ . قَالَ : " كَلَّا ، إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ ، هَاجَرْتُ إِلَى اللَّهِ وَإِلَيْكُمْ ، وَالْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ ، وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ " . فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَبْكُونَ ، وَيَقُولُونَ : وَاللَّهِ ، مَا قُلْنَا الَّذِي قُلْنَا إِلَّا الضَّنَّ بِاللَّهِ ،

وَبِرَسُولِهِ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ يُصَدِّقَانِكُمْ، وَيَعْذِرَانِكُمْ ". مسلم (١٧٨٠) .
 فيه بيان محبة الأنصار لرسول الله، وحرصهم عليه وعدم
 مفارقتة، واعتذارهم بالبكاء والإشفاق .
 قال النووي رحمه الله: معنى هذه الجملة : أنهم رأوا رافة
 النبي صلى الله عليه وسلم بأهل مكة وكف القتل عنهم ،
 فظنوا أنه يرجع إلى سكنى مكة والمقام فيها دائما ، ويرحل
 عنهم ويهجر المدينة ، فشق ذلك عليهم ، فأوحى الله تعالى
 إليه صلى الله عليه وسلم فأعلمهم بذلك ، فقال لهم صلى الله
 عليه وسلم : " قلتم كذا وكذا ؟ قالوا : نعم قد قلنا هذا " ،
 فهذه معجزة من معجزات النبوة ، فقال : " كلا إني عبد الله
 ورسوله " ، معنى " كلا " هنا حقا ، ولها معنيان : أحدهما
 : حقا ، والآخر : النفي .

٢٧- الحديث السابع والعشرون : العلم الباكي :

عن عَبْدِ الْأَعْلَى التَّمِيمِيِّ يَقُولُ : " مَنْ أُوتِيَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَا
 يُبْكِيهِ، لَخَلِيقٌ إِلَّا يَكُونُ أُوتِيَ عِلْمًا يَنْفَعُهُ ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى نَعَتَ
 الْعُلَمَاءَ . ثُمَّ قَرَأَ : { إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ } . إِلَى قَوْلِهِ : {
 يَبْكُونَ } ". الدارمي (٢٩٩) .

فيه بيان فضل العلم ووقعه على حملته المورثة للخشية
 والبكاء ، وأن من فاتته ذلك فليراجع نفسه، وليجدد علمه
 ويزكي روحه .

٢٨- الحديث الثامن والعشرون : البكاء على ظاهر العلم :

عن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ : حَدَّثَنِي فَلَانُ بْنُ فَلَانٍ ، -
 صحابي - أنه سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ : ()
 مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ

لِقَاءَهُ " . قَالَ : فَأَكْبَّ الْقَوْمُ يَبْكُونَ ، فَقَالَ : " مَا يُبْكِيكُمْ ؟ " .
 فَقَالُوا : إِنَّا نَكْرَهُ الْمَوْتَ . قَالَ : " لَيْسَ ذَلِكَ ، وَلَكِنَّهُ إِذَا حَضَرَ
 : { فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ } { فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةٌ نَعِيمٌ
 { . فَإِذَا بُشِّرَ بِذَلِكَ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ لِلِقَائِهِ أَحَبُّ ، } وَأَمَّا إِنْ
 كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ { } فَنَزُلُ مِنْ حَمِيمٍ { " . قَالَ
 عَطَاءٌ : وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ : (ثُمَّ تَصَلِّيَةٌ جَحِيمٍ) . " فَإِذَا
 بُشِّرَ بِذَلِكَ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ ، وَاللَّهُ لِلِقَائِهِ أَكْرَهُ " . المسند
 (١٨٢٨٣) .

فيه تأثر الناس بالعلم ، وبكاء الصحابة الكرام رضي الله
 عنهم على الظاهر ، ، وتنبيه العالم لتلامذته وتصويبهم بأن
 كراهة الموت لا تعني كراهة لقاء الله .

قال العلامة عبد العزيز بن باز رحمه الله: ليس المقصود
 الموت، الموت من طبيعة الناس إلا من شاء الله يكرهون
 الموت، لكن المقصود أنه متى حضره أجله بشرته الملائكة
 بالرحمة والرضا، فيحب لقاء الله ويحب لقاءه، والكافر
 بضد ذلك، نسال الله العافية يبشر بالعذاب والنقمة، فيكره
 لقاء الله ويكره لقاءه .

٢٩ - الحديث التاسع والعشرون : بكاء الأموات :

عَنْ جَبْرِ بْنِ عَتِيكَ ، عَنْ عَمِّهِ قَالَ : دَخَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى مَيِّتٍ مِنَ الْأَنْصَارِ ، وَأَهْلُهُ يَبْكُونَ ،
 فَقُلْتُ : أَتَبْكُونَ وَهَذَا رَسُولُ اللَّهِ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
 عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " دَعُهُنَّ يَبْكِينَ مَا دَامَ عِنْدَهُنَّ ، فَإِذَا وَجِبَ فَلَا
 يَبْكِينَ " . فَقَالَ جَبْرٌ : فَحَدَّثْتُ بِهِ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَقَالَ
 لِي : مَاذَا " وَجِبَ " ؟ قَالَ : إِذَا أُدْخِلَ قَبْرَهُ . المسند
 (٢٣٧٥١) .

فيه جواز البكاء وأنه فطرة بشرية، ورحمة من الله لا يمنع منها .

٣٠- الحديث الثلاثون : البكاء بحضرة الأكابر :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ : لَمَّا قُتِلَ أَبِي جَعَلْتُ أَكْشِفُ الثُّوبَ عَنْ وَجْهِ أَبِي وَيَنْهَوْنِي عَنْهُ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَنْهَانِي، فَجَعَلْتُ عَمَّتِي فَاطِمَةَ تَبْكِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " تَبْكِينَ أَوْ لَا تَبْكِينَ، مَا زَالَتِ الْمَلَائِكَةُ تُظَلُّهُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى رَفَعْتُمُوهُ " . البخاري (١٢٤٤) مسلم (٢٤٧١) .

فيه جواز البكاء عند الأكابر، ومنقبة لجابر ووالده رضي الله عنهما ، قال النووي : قال القاضي : يحتمل أن ذلك لتراحمهم عليه لبشارته بفضل الله ورضاه عنه ، وما أعد له من الكرامة عليه ازدحموا عليه إكراما له ، وفرحا به ، أو أظلوه من حر الشمس لئلا يتغير ريحه أو جسمه .

٣١- الحديث الحادي والثلاثون : حنين الجذع :

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا أَجْعَلُ لَكَ شَيْئًا تَقْعُدُ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّ لِي غُلَامًا نَجَارًا . قَالَ : " إِنْ شِئْتَ " . قَالَ : فَعَمَلْتُ لَهُ الْمُنْبِرَ ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَعَدَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمُنْبِرِ الَّذِي صُنِعَ ، فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ الَّتِي كَانَ يَخْطُبُ عِنْدَهَا حَتَّى كَادَتْ أَنْ تَنْشَقَّ ، فَنَزَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَخَذَهَا فَضَمَّهَا إِلَيْهِ ، فَجَعَلَتْ تَبْكِي وَأَبِينِ الصَّبِيِّ الَّذِي يُسَكَّتُ حَتَّى اسْتَقَرَّتْ . قَالَ : بَكَتْ عَلَى مَا كَانَتْ تَسْمَعُ مِنَ الذِّكْرِ . البهلول (٢٠٩٥) .

فيه جواز بكاء الجمادات، وصحة نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم .

قال في الفتح : قال البيهقي: قصة حنين الجذع من الأمور الظاهرة التي حملها الخلف عن السلف، ورواية الأخبار الخاصة فيها كالتكلف. وفي الحديث دلالة على أن الجمادات قد يخلق الله لها إدراكا كالحيوان بل كأشرف الحيوان، وفيه تأييد لقول من يحمل: { وإن من شيء إلا يسبح بحمده } على ظاهره، وقد نقل ابن أبي حاتم في " مناقب الشافعي " عن أبيه عن عمرو بن سواد عن الشافعي قال: ما أعطى الله نبيا ما أعطى محمدا. فقلت: أعطى عيسى إحياء الموتى. قال: أعطى محمدا حنين الجذع حتى سمع صوته، فهذا أكبر من ذلك.

٣٢- الحديث الثاني والثلاثون : البكاء على القرآن :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ لِي النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " أَقْرَأُ عَلَيَّ " . قُلْتُ : أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أَنْزَلَ ؟ قَالَ : " فَإِنِّي أَحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي " . فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النَّسَاءِ ، حَتَّى بَلَغْتُ : { فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا } . قَالَ : " أَمْسِكْ " . فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ . البخاري (٤٥٨٢) مسلم (٨٠٠) .

فيه فضل البكاء عند سماع القرآن، وتأثر رسول الله وحسن إصغائه لابن مسعود وتدبره للمتلو .

قال النووي رحمه الله : وفي حديث ابن مسعود هذا فوائد منها : استحباب استماع القراءة والإصغاء لها والبكاء عندها وتدبرها ، واستحباب طلب القراءة من غيره ليستمتع له ، وهو أبلغ في التفهم والتدبر من قراءته بنفسه ، وفيه تواضع أهل العلم والفضل ولو مع أتباعهم .

٣٣- الحديث الثالث والثلاثون : الذاكر البكاء :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لَا ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ الْإِمَامُ الْعَادِلُ...: وفيه .. وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ ". البخاري (٦٦٠) مسلم (١٠٣١).

قال في الفتح : قوله: (ففاضت عيناه) أي فاضت الدموع من عينيه، وأسند الفيض إلى العين مبالغة كأنها هي التي فاضت، قال القرطبي: وفيض العين بحسب حال الذاكر وبحسب ما يكشف له، ففي حال أوصاف الجلال يكون البكاء من خشية الله، وفي حال أوصاف الجمال يكون البكاء من الشوق إليه.

وقوله (خالياً) أي خالي القلب مما سوى الله عز وجل ، وخالي الجسم أيضاً، ليس عنده أحد حتى لا يكون بكاؤه رياء وسمعة، فهو مخلص القلب، صادق الدمعة .

٣٤- الحديث الرابع والثلاثون : الحب المشفق:

عَنْ الْأَخْنَفِ بْنِ قَيْسٍ قَالَ : دَخَلْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَوَجَدْتُ فِيهِ رَجُلًا يَكْثُرُ السُّجُودَ، فَوَجَدْتُ فِي نَفْسِي مِنْ ذَلِكَ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قُلْتُ : أَتَدْرِي عَلَى شَفَعِ انْصَرَفَتْ أَمْ عَلَى وَثْرٍ ؟ قَالَ : إِنْ أَكُّ لَا أَدْرِي فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَدْرِي. ثُمَّ قَالَ : أَخْبَرَنِي حَبِي أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ثُمَّ بَكَى، ثُمَّ قَالَ : أَخْبَرَنِي حَبِي أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. ثُمَّ بَكَى، ثُمَّ قَالَ : أَخْبَرَنِي حَبِي أَبُو الْقَاسِمِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ : " مَا مِنْ عَبْدٍ يَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ، وَكُتِبَ لَهُ بِهَا حَسَنَةٌ ". قَالَ : قُلْتُ : أَخْبَرَنِي مَنْ أَنْتَ يَرْحَمُكَ اللَّهُ ؟ قَالَ : أَنَا أَبُو ذَرٍّ صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. فَتَقَاصَرْتُ إِلَيَّ نَفْسِي. المسند (٢١٤٥٢).

فيه بيان مكانة رسول الله عند صحابته، وبكاهم عند ذكره والعمل بسنته، وفيه منقبة لأبي ذر رضي الله عنه، وأن المحبة حملته على حسن العمل والاستكثار من السجادات .

٣٥- الحديث الخامس والثلاثون : حرمة النار على البكائين

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (لَا يَلِجُ النَّارَ رَجُلٌ بَكَى مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ، حَتَّى يَعُودَ اللَّبْنُ فِي الضَّرْعِ ، وَلَا يَجْتَمِعُ غَبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَدُخَانُ جَهَنَّمَ) .

الترمذي وقال: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ (١٦٣٣) .

فيه البكاء من خشية الله، وأن أهله محرم النار عليهم .
قال في التحفة : قوله : (لا يلى النار) أي لا يدخلها (رجل بكى من خشية الله) فإن الغالب من الخشية امتثال الطاعة واجتناب المعصية ، (حتى يعود اللبن في الضرع)
هذا من باب التعليق بالمحال كقوله تعالى { حتى يلى الجمل في سم الخياط } .

٣٦- الحديث السادس والثلاثون : بكاء العلم الحقيقي :

عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : (إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ ، أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَنْطَبَّ ، مَا فِيهَا مَوْضِعٌ أَرْبَعُ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكَ وَاضِعٌ جِبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ ، وَاللَّهُ لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا ، وَمَا تَلَذَّذْتُمْ بِالنِّسَاءِ عَلَى الْفُرْشِ ، وَلَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعَدَاتِ تَجَارُونَ إِلَى اللَّهِ) . الترمذي (٢٣١٢) .

فيه أن العلم الحقيقي العناية بالدار الآخرة وأهوالها والاستعداد لها ، وأن علمنا بذلك يورثنا الزهادة، وترك الملذات .

قال في التحفة : قوله : (إني أرى ما لا ترون)
أي أبصر ما لا تبصرون بقرينة قوله وأسمع ما لا تسمعون (أظت السماء) بتشديد الطاء من الأظيط ، وهو صوت الأقتاب ، وأظيط الإبل أصواتها وحنينها على ما في النهاية أي صوت، (وحُق) بصيغة المجهول أي ويستحق وينبغي، (لها أن تنظ) أي تصوت .

٣٧- الحديث السابع والثلاثون : بكاء المحدث :

عن شُفِي الأصبحي أنه التقى أبا هُرَيْرَةَ ، وقد اجتمع عليه الناس ، وسأله أن يحدثه، فقال: أَفْعَلُ، لِأَحَدِنْتِكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَقَلْتُهُ وَعَلِمْتُهُ. ثُمَّ نَشَعَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشَعَةً فَمَكَّنْنَا قَلِيلًا، ثُمَّ أَفَاقَ فَعَلَ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.... فَقَالَ : فَأَسْنَدْتُهُ عَلَيَّ طَوِيلًا، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ : حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَنْ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى الْعِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ، وَكُلُّ أُمَّةٍ جَائِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ الْقُرْآنَ، وَذَكَرَ الْقَارِئُ وَالْجَوَادُ وَالْجَرِيُّ....

وفي آخره.... أن رجلا حدث به معاوية .. فَقَالَ مُعَاوِيَةَ : قَدْ فَعَلَ بِهِؤُلَاءِ هَذَا، فَكَيْفَ بَمَنْ بَقِيَ مِنَ النَّاسِ ؟ ثُمَّ بَكَى مُعَاوِيَةَ بُكَاءً شَدِيدًا حَتَّى ظَنَّنَا أَنَّهُ هَالِكٌ، وَقُلْنَا : قَدْ جَاءَنَا هَذَا الرَّجُلُ بِشَرٍّ. ثُمَّ أَفَاقَ مُعَاوِيَةَ وَمَسَحَ عَن وَجْهِهِ وَقَالَ : صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ { مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ } { أَوْلَيْكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ

فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {

الحديث . الترمذي (٢٣٨٢) . وأصله في مسلم (١٩٠٥) . بلفظ مقارب .

فيه بكاء المحدث ومزج العلم بالدمعة، وتأثر القلوب الحية بالمواعظ ، وعظم حملان الصحابة للعلم وانتفاعهم به ، وضرورة حذر الأصناف الثلاثة، وأن الإخلاص شرط القبول . قال في التحفة : (ثم نشغ)

بفتح النون والشين المعجمة بعدها غين معجمة أي شهق حتى كاد يغشى عليه أسفا أو خوفا قاله المنذري . وقال الجزري في النهاية : النشغ في الأصل الشهيق حتى يكاد يبلغ به الغشي وإنما يفعل الإنسان ذلك تشوقا إلى شيء فانت وأسفا عليه ومنه . حديث أبي هريرة أنه ذكر النبي صلى الله عليه وسلم فنشغ نشغة أي شهق وغشى عليه انتهى .

٣٨- الحديث الثامن والثلاثون : بكاء عظة المقابر :

عَنْ الْبِرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي جِنَازَةٍ ، فَجَلَسَ عَلَى شَفِيرِ الْقَبْرِ ، فَبَكَى حَتَّى بَلَ الثَّرَى ، ثُمَّ قَالَ : (يَا إِخْوَانِي ، لِمِثْلِ هَذَا فَأَعِدُّوا) . ابن ماجه (٤١٩٥) .

فيه جواز البكاء على المقابر وأمام الناس، وأن للموت رهبا وفرعا ، وأهمية الاستعداد للموت وما بعده .

٣٩- الحديث التاسع والثلاثون : البكاء على المحتضر :

عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَبِي سَلَمَةَ ، وَقَدْ شَقَّ بَصْرُهُ ، فَأَغْمَضَهُ ، ثُمَّ قَالَ : " إِنَّ الرُّوحَ إِذَا قُبِضَ تَبِعَهُ الْبَصَرُ " . فَضَجَّ نَاسٌ مِنْ

أَهْلَهُ، فَقَالَ : " لَا تَدْعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِخَيْرٍ، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ يُؤَمِّنُونَ عَلَيَّ مَا تَقُولُونَ ". ثُمَّ قَالَ : " اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِأَبِي سَلْمَةَ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ فِي الْمَهْدِيِّينَ، وَاخْلُفْهُ فِي عَقْبِهِ فِي الْغَابِرِينَ، وَاعْفِرْ لَنَا وَلَهُ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ، وَافْسَحْ لَهُ فِي قَبْرِهِ، وَنَوِّرْ لَهُ فِيهِ ". مسلم (٩٢٠).

فيه شدة وقع الموت على الناس ، وكراهية الدعاء على النفس ، وفضل ابي سلمة ، وصحة البكاء على المحتضرين . قال النووي رحمه الله : قولها : (فأغمضه) دليل على استحباب إغماض الميت ، وأجمع المسلمون على ذلك ، قالوا : والحكمة فيه ألا يقبح بمنظره لو ترك إغماضه . قوله صلى الله عليه وسلم : (إن الروح إذا قبض تبعه البصر) معناه : إذا خرج الروح من الجسد يتبعه البصر ناظرا أين يذهب ، وفي " الروح " لغتان : التذكير والتأنيث ، وهذا الحديث دليل للتذكير ، وفيه دليل لمذهب أصحابنا المتكلمين ومن وافقهم أن الروح أجسام لطيفة متخللة في البدن ، وتذهب الحياة من الجسد بذهابها ، وليس عرضا كما قاله آخرون ، ولا دما كما قاله آخرون ،، !

٤٠ - الحديث الأربعون : البكاء للآخرين :

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا : أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ : { رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي } . الآية . وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : { إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ } ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَقَالَ : " اللَّهُمَّ أُمَّتِي أُمَّتِي ". وَبَكَى، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلَّهُ مَا يُبْكِيكَ ؟ فَاتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَا قَالَ، وَهُوَ أَعْلَمُ، فَقَالَ اللَّهُ : يَا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ : إِنَّا سَنُرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ، وَلَا نَسُوءُكَ. مسلم (٢٠٢).

فيه بكاء رسول الله على أمته ، وتهمة بمصيرهم . كما قال الله تعالى : (حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم) سورة التوبة .

قال النووي رحمه الله : هذا الحديث مشتمل على أنواع من الفوائد منها : بيان كمال شفقة النبي صلى الله عليه وسلم على أمته واعتناؤه بمصالحهم ، واهتمامه بأمرهم ، ومنها : استحباب رفع اليدين في الدعاء ، ومنها : البشارة العظيمة لهذه الأمة - زادها الله تعالى شرفا - بما وعدّها الله تعالى بقوله : " سنرضيك في أمتك ولا نسوءك " ، وهذا من أرجى الأحاديث لهذه الأمة أو أرجاها ، ومنها : بيان عظم منزلة النبي صلى الله عليه وسلم عند الله تعالى وعظيم لطفه سبحانه به صلى الله عليه وسلم ، والحكمة في إرسال جبريل لسؤاله صلى الله عليه وسلم إظهار شرف النبي صلى الله عليه وسلم ، وأنه بالمحل الأعلى ، فيسترضى ويكرم بما يرضيه ، والله أعلم .

١٤ - الحديث الحادي والأربعون : البكاء عند زيارة القبور :

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ : زَارَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْرَ أُمِّهِ فَبَكَى، وَأَبَكَى مَنْ حَوْلَهُ، فَقَالَ : (اسْتَأْذَنْتُ رَبِّي فِي أَنْ أَسْتَغْفِرَ لَهَا، فَلَمْ يُؤْذَنْ لِي، وَاسْتَأْذَنْتُهُ فِي أَنْ أَزُورَ قَبْرَهَا، فَأُذِنَ لِي، فَزُورُوا الْقُبُورَ ؛ فَإِنَّهَا تُذَكِّرُ الْمَوْتَ). مسلم (٩٧٦).

فيه البكاء عند الزيارة، ومشروعية زيارة المقابر، وصحتها للكفار ، وأن اختلاف الدين لا يمنع العاطفة الفطرية .

قال النووي رحمه الله : قال القاضي : بكأوه صلى الله عليه وسلم على ما فاتها من إدراك أيامه ، والإيمان به .

تمت بحمد الله
أربعون الدموع
والخشوع، والحمد
لله أولاً وآخراً...